

هيا لترع الأشجار

كانت في مدرستي شجرةً عاليةً الأوراق عريضةً الجذع عميقةً الجذور. أذكرُ حين كنا نتسابقُ لنرى من سيضربُ الكرةَ بقدمه إلى الأعلى ونقيسَ الارتفاعَ بالفرع الذي تصلُّه الكرةُ ثم ترتدُّ عنه، وأذكرُ أن أحدَ أصحابي كانت ضربتهُ قويَّةً، فحين تُخْرُجُ الكرةُ من قدمه تطيرُ إلى الفضاءِ وتبلغُ أعلى العُصونِ فنشققُ في دهشةٍ وإعجابٍ... فيها هي قد ارتقت لسماءِ المدرسةِ وسقفها. وكان مربوطاً إلى الشجرة مرمى لعبة كرة السلة، وكنا نستندُ إليها ونختبئُ في ثنايا جذعها العريضِ ونحُنُّ نلعبُ الإستغمايةً... كانت سقْفَ عالمنا المدرسي الجميل، وحضنُها وسعنا جميعاً. وذات يومٍ مررتُ أمام مدرستي القديمة ورأيتُ عمالاً يُحيطونَ بالشجرة، وقد قطعوا جذعها العريضَ الحبيبَ بالفأس، وربطوا فروعها العليا بالحبالِ وأخذوا يجذبونها.

وقفت متجمداً في مكاني وقلبي يَحْفَقُ بِقُوَّةٍ، وراحت ذكرياتي حولَ الشجرة تجري في ذهني سريعةً، ورأيتُ الجذعَ العالي يميلُ إلى جانبه فذهلتُ... هل يُمكنُ أن يَسْقُطَ هذا الصرْحُ الهائلُ من ذكرياتِ الطفولةِ وأيامِ اللبِّ السعيدةِ فجأةً هكذا؟ يُمكنُ لإنسانٍ مهما بلعَ من القسوة أن يقضيَ عليه؟ سمعتُ أنينَ الشجرةِ المؤلمِ وهي تميلُ وتَسْقُطُ، وما زلت إلى الآن بعد شهورٍ من "الحادث" أحزُنُ كلما تذكَّرتُ كيفَ قتلوها!

ما لم أكنُ أعرفُه هو أنَّ ما حَدَثَ لِشجرتي، شجرةِ المدرسةِ، قد حَدَثَ لملياراتِ الأشجارِ في جميعِ أركانِ العالم، ويَحْدُثُ كلَّ دقيقةٍ ليلاً ونهاراً في كلِّ قارَّاتِ العالم... والشجرةُ هي العنصرُ الأساسيُّ المكوِّنُ للغاباتِ التي تُغطي 30% من مساحة الأرضِ على كوكبنا، والغابةُ مهمَّةٌ في أشياء كثيرة، منها الحِفاظُ على استقرارِ التربة، ومنعُ الانهياراتِ الأرضيةِ والتصحُّرِ، وحمايةُ شواطئِ العالم، وحتى استقرارُ هضابِ الرمالِ في الصحراءِ... ويعيشُ فيها حوالي 90% من كلِّ الكائناتِ الحيَّةِ المُقيمةِ في البر. كذلك تُوفِّرُ الأخشابَ، وعَلَفَ الحيواناتِ، والزيتَ، والصمغَ بأنواعه، والعقاقيرَ الطبيعيَّة، والظلَّ.

ولكنَّ مع الأسف اجترأ الإنسانُ على الغابةِ فقطعَ أشجارها وأحرقَ مساحاتٍ منها ليزرعها وليستفيدَ بالأخشابِ بإسرافٍ بالغٍ، حتى لم يَعدُ في العالم غير 20% من مساحات الغابات التي كانت في العالم منذُ عشرةِ آلافِ عامٍ.

وَتُحَافِظُ الْأَشْجَارُ عَلَى الْعَالَمِ كُلِّهِ بِامْتِصَاصِهَا ثَانِي أَكْسِيدِ الْكَرْبُونِ وَإِخْرَاجِ الْأَكْسِجِينِ، وَيُعْتَبَرُ قَطْعُ الْأَشْجَارِ أخطرَ مِنْ عَوَادِمِ السِّيَّارَاتِ وَدُخَانِ الْمَصَانِعِ عَلَى الْبَيْئَةِ، فَالْأَشْجَارُ هِيَ رِئَةُ الْعَالَمِ وَلَهَا الدَّوْرُ الْأَكْبَرُ فِي الْحِفَافِ عَلَى هَوَائِهِ.

هناك أكثر من مليار شخص يقيمون إلى جوار الغابات ويعوونها لأنهم يعتمدون على ما تقدمه لهم حتى يتمكنوا من الحياة. ولكن نحن وإن كان معظمنا لا يقيمون في مناطق قريبة من الغابات، فيمكننا المساعدة... ونحن مطالبون بزراعة 14 مليار شجرة كل عام لعشرة أعوام متتالية حتى نعوض ما تم قطعه من أشجار في السنوات العشر الماضية، وهذا يعني أن يزرع كل شخص في العالم شجرتين كل عام لعشر سنوات.

طبعاً هذا كتم هائل، ويصعب تعويض ما خسرت أرضنا... ولكن لم لا نتحرك ويزرع كل واحد منا شجرة؟ فالشجرة الواحدة تنتج سنوياً أكسجيناً يكفي لتنفس أسرة من أربعة أفراد لمدة عام، وكلما قلت الأشجار قل الأكسجين المتاح لنا جميعاً، فتعالوا نتنفس بحريّة!

دعوتنا هذه يا أصدقائي جزء من حملة برنامج الأمم المتحدة للبيئة الذي يُنادي بزراعة مليار شجرة في عام 2007 تحت شعار "ازرع عالمك... حملة المليار شجرة".

(النص بنصرف عمه سنزوع مائة وثلاثين ألف شجرة!، عمرو خيرى، العربي الصغير، العدد 174 ، 2007).

جميع الحقوق محفوظة لمجلة العربي، وزارة الإعلام، الكويت

ورد النصّ في امتحانات النّجاعة والنّماء سنة 2009.